من القصص العربي القديم

قال الطفيل بن عامر العمرى : خرجت ذات يوم أريد المغارة — وكنت رجلا أحب الوحدة — فبينا أنا أسير ؟ اذ ضللت الطريق الذى أردته ، فسرت أياما لا أدرى أين أتوجه ، حتى نفد زادى ، فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك ، ويئست من الحياة .

فبينا أنا أسير اذ أبصرت قطيع غنم فى ناحية من الطريق ، فملت اليها ، واذا شاب حسن الوجه ، فصيح اللسان .

قال لى : يابن العم ، أين تريد ؟ فقلت : أردت حاجة لى فى بعض المدن ، وما أظننى الا قد ضللت الطريق . قال : أجل ؟ ان بينك وبين الطريق مسيرة أيام ، فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك .

فنزلت فرمى لفرسي حشيشا ، وجاء الى بثريد كثير ولبن ، ثم قام الى كبش فذبحه ، وأجج نارا ، وجعل يكبب لى . ويطعمنى حتى اكتفيت .

فلما جننى الليل قام وفرش لى ، وقال : قم فارم بنفسك ، فان النوم اذهب لتعبك ، وأرجع لنفسك .

فقمت ووضعت رأسي ، فبينا أنا نائم اذ اقبلت جارية لم تر عيناى مثلها قط حسنا وجمالا ، فقعدت الى الفتى ، وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به ، فامتنع على النوم لحسن حديثهما فلما كان وقت السحر ، قامت الى منزلها ، فلما أصبحنا دنوت منه ، فقلت له : من الرجل : قال : أنا فلان ابن فلان ، وانتسب لى فعرفته ، فقلت له : ويحك ! ان أباك لسيد قومه ، فما

حملك على وضعك نفسك فى هذا المكان ! فقال : أنا والله أخبرك :

كنت عاشقا لابنة عمى هذه التى رأيتها ، وكانت هى أيضا لى وامقة فشاع خبرنا فى الناس ، فأتيت عمى ، فسألته أن يزوجنيها ، فقال : يابنى ، والله سألت شططا ، وما هى بأثر عندى منك ، ولكن الناس قد تحدثوا بشيء ، وعمك يكره المقالة القبيحة ، ولكن انظر غيرها فى قومك ، حتى يقوم عمك بالواجب لك .

فقلت : لا حاجة لى فيما ذكرت ، وتحملت عليه بجماعة من قومى فردهم ، وزوجها رجلا من ثقيف له رياسة وقدر ، فحملها الى هنا — وأشار بيده الى خيم كثيرة بالقرب منا — فضاقت على الدنيا برحبها ، وخرجت فى اثرها ، فلما رأتنى فرحت فرحا شديدا ، فقلت لها : لا تخبرى أحدا انى منك بسبيل ، ثم أتيت زوجها ، وقلت : أنا رجل من الأزد ، أصبت دما وأنا خائف ، وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك فى اصطناع المعروف ، ولى بصر بالغنم ، ان رأيت أن تعطينى من غنمك شيئا فأكون فى جوارك وكنفك فافعل . قال : نعم .. وكرامة . فأعطانى مائة شاة وقال لى : لا تبعد بها من الحى ، وكانت ابنة عمى تخرج الى كل ليلة فى الوقت الذى رأيت وتنصرف ، فلما رأى حسن حال الغنم ، أعطانى هذه فرضيت من الدنيا بما ترى .

قال الطفيل : فأقمت عنده أياما ، فبينما أنا نائم اذ نبهنى ، وقال : يا أخا بنى عامر . قلت له : ما شأنك ؟ قال : ان ابنة عمى قد ابطأت ولم تكن هذه عادتها ، ووالله ما أظن ذلك الا لامر حادث . فحدثنى ، فجعلت أحدثه ، فانشأ يقول :

ما بال مية لا تأتى كعادتها !
هل هاجها طرب أو صدها شغل؟
لكن قلبى لا يعنيه غيرهم
حتى الممات ولا لى غيرهم أمل
لو تعلمين الذى بى من مفارقكم
لما اعتللت ولا طابت لك العلل
نفسى فداؤك قد هيجت لى سقما
تكاد من حره الاحشاء تنفصل
لو كان عادية منه على جبل
لزال وانهد من أركانه الجبل

فوالله ما اكتحل بغمض ، حتى انفجر عمود الصبح ، وقام ومر نحو الحى فأبطأ عنى ساعة ، ثم اقبل ومعه شيء ، وجعل يبكى عليه . فقلت له : ماهذا ؟ قال : هذه ابنة عمى افترسها السبع ، فأكل بعضها ، ووضعها بالقرب منى ، فأوجع والله قلبى :

ثم تناول سيفه ومر نحو الحى ، فأبطأ هنيهة ، ثم أقبل الى ، وعلى عاتقه ليث كأنه حمار ، فقلت له : ماهذا ؟ قال : صاحبى . قلت : وكيف علمته ؟ قال : انى قصدت الموضع الذى أصابها فيه ، وعلمت أنه سيعود الى ما فضل منها ، فجاء قاصدا الى ذلك الموضع، فعلمت انه هو ، فحملت عليه فقتلته ، ثم قام فحفر فى الارض فأمعن، وأخرج ثوبا جديدا ، وقال : يا أخا بنى عامر ، اذا أنا مت فادرجنى معها فى هذا الثوب ، ثم ضعنا فى هذه الحفرة ، واهل التراب ، واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام .

كنا على ظهرها والعيش فى مهل
والدهر يجمعنا ، والدار والوطن
فخاننا الدهر فى تفريق الفتنـــا
واليوم يجمعنا فى بطنهـــا الكفن

ثم التفت الى الاسد وقال :

الا أيهـــا الليث المدل بنفســـه
هلكت ، لقد جرت يداك لنا حزنا
وغادرتنى فردا وقد كنت الفا
وصيرت آفاق البـــلاد لنا ســـجنا
اصـــحب دهرا خاننى بفراقهـــا
معاذ الهى أن أكون له خدنا

ثم قال : يا أخا بنى عامر ، اذا فرغت من شأننا فصح فى ادبار هذه الغنم فردها الى صاحبها .

ثم مات .. فقمت فأدرجتهما فى ذلك الثوب ، ووضعتهما فى تلك الحفرة ، وكتبت البيتين على قبرهمـــا ورددت الغنـــم الى صاحبها . وســـألنى القوم ، فأخبرتهم الخبر ، فخرج جماعة منهم فقالوا : والله لننحرن عليه ، تعظيمـــا له ، فخرجوا ، واخرجوا مائة ناقة ، وتسامع الناس فاجتمعوا الينا ، فنحرت ثم انصرفنا .